«ولقد ضحكت من أعماقي يومها، عندما رأيت الغيظ الذي ارتسم على وجوه المحققين. وعلى ذكر التحقيق، فإنه من الأشياء الصعبة ... وكل إنسان يتألم حين تهوي العصي فوق لحمه وعظمه، يتألم حتى يوشك على الانهيار... أنا نفسي حدث معي هذا الشيء، وعندما وصلت إلى حافة الانهيار من شدة التعذيب، لمع أمامي وجه تلك الفتاة التي أحبها... وجهها أضاء أمامي في لحظة خاطفة فقاومت الانهيار... ونهضت من قاع الألم... لعل الحبيبة هي فلسطين التي تتجسد في خيالنا في صورة أجمل الوجوه التي نعشقها.

«وداخل جدران الزنزانة يقاوم الانسان أشياء كثيرة... وجوه تغيب فنتشبث بها حتى لا تغيب... وكوابيس تداهمنا فنطردها... وتلك الرغبة في الخروج من السجن التي تصطدم بالقضبان... لكن الأمل يعود ويغمرنا بفرحة شاسعة... الأمل في الانتصار».

في حياة المناضلين، في ثورتنا، أجمل الأيام هي نفسها أصعبها. وتلك الأيام لا تغادر الذاكرة، إنها بحضورها تشكل ذلك الوقود السري لاستمرار طاقة العطاء...

الليل والخوف والثلج والأوحال والكمائن المباغتة، وتلك اللحظات العليا من التوتر... والاخوة الأحبّاء الذين يستشهدون على بُعد خطوات منك، حتى أن نثار دمهم الساخن يلفح وجهك أو يديك، ولا يسعك سوى أن ترمقهم للحظة بحنان ثم تواصل الطريق.

وتلك الأيام لا تغادر الذاكرة...

المسافات عبر ثلوج جبل الشيخ إلى جنوب لبنان، وأودية العرقوب، وتلك الرحلات التي تشبه الأساطير في الأغوار، وأولئك المحاربون القدامى الذين يشبهون طلائع المكتشفين للقارات المجهولة... وهل يمكن أن يتخيّل أحد، الآن، ان فدائياً من تلك الأيام، كان يحمل على ظهره كمية من الألغام، أو العبوات ليقطع بها مسافات الثلج والطين والموت إلى مكان ما داخل الأرض المحتلة، دون أن يكون معه قطعة من السلاح.

ومَن ذا الذي يواجه الموت ولا يخاف؟

يتحدث منذر عن واحدة من تلك الرحلات التي قطعها إلى داخل الأرض المحتلة مع محمود الهمشري، وجواد ابو الشعر، وربحي، وعدد آخر من الشباب... كان ذلك في منتصف تموز (يوليو) سنة ١٩٦٧... الانطلاق من الكريمة، ثم عبور النهر والتوغل بعد ذلك في الليل والمفاجأة بكمين... قلت للشباب: اذهبوا أنتم... وسأحميكم.

وبعد عشر دقائق عندما توغلوا في الظلام، أدركت أنني أقف أمام الموت وحيداً، تلك كانت من دورياتي الأولى... ولم أكن بعد أعرف الطريق.

ويتحدث الحاج عن دورية مع الشهيد منير، دورية إلى القدس، كان ذلك قبيل معركة الكرامة، قبل أن ننطلق مر بنا رجل ومعه طفل صغير سألناه: إلى أين تذهب يا عم؟

قال لنا: إلى أريحا.

مضى الرجل ومعه طفله الصغير، واستكملنا تهيئة التجهيزات، ثم انطلقنا. في الطريق،